للتوّ، باستثناء الاردن، ممثلاً شرعياً وحيداً للشعب الفلسطيني. لذا، ركّزت المنظمة جلّ جهدها، في العام ١٩٧٤، على تأكيد الاعتراف العربي بها، وتحقيق اعتراف مماثل على الساحة الدولية، لضمان عدم تجاوزها والعمل من وراء ظهرها في عملية التسوية، فاهتمت بابقاء علاقاتها العربية طبيعية، وكثّفت نشاطها الدبلوماسي الدولي، وقبل هذا وذاك صعّدت أعمال المقاومة العسكرية، والمدنية، في الداخل.

لانجاز الهدف الاسرائيلي باخراج الفلسطينيين، ومنظمتهم، من معادلة الحرب والسلام في المنطقة، كان يلزم اخلاء لبنان من الوجود الفلسطيني المسلّح. فاستغلت اسرائيل كل عملية فدائية، حتى لو حدثت في غزة، لارهاب الدولة اللبنانية، بتحميلها المسؤولية عن استمرار النشاط الفدائي، وتنظيم عدوان عسكري ضد لبنان. وشجّعت السياسة هذه القوى اللبنانية المعادية للمقاومة على تشديد حملتها على المقاومة، وضغوطها على الحكومة اللبنانية، لالغاء «اتفاقية القاهرة»، أو اجراء استفتاء بشأن مصيرها، واستقدام قوات دولية للمرابطة في الجنوب. الاّ ان الدعوات تلك قوبلت بمعارضة قوية من عدد غير قليل من أعضاء البرلمان، والقوى اليسارية التي طالبت بتقوية الجيش اللبناني، والقبول بالعروض التي تقدّمت بها دول عربية عدة في اجتماعات مجلس الدفاع العربي المشترك، لارسال اسلحة ومعدّات عسكرية، وحتى قوات مسلّحة، الى لبنان.

وعملت منظمة التحرير الفلسطينية، من جهتها، على عدم تصديع العلاقات اللبنانية ـ الفلسطينية، فكثّفت اتصالاتها مع كبار المسؤولين في الحكومة اللبنانية، وزعماء الكتل النيابية، والاحزاب السياسية، بما فيها الكتل والاحزاب اليمينية، وتشدّدت في منع عمليات القشرة الفدائية من على الاراضي اللبنانية. وأعرب البيان السياسي، الصادر عن الدورة الثانية عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني، الذي عقد في مطلع حزيران (يونيو) ١٩٧٤، عن تفهّم الثورة الفلسطينية لخصوصية الوضع على الساحة اللبنانية، وحرصها على «تقوية صيغ العلاقة القائمة، الآن، بين الشعبين، اللبناني والفلسطيني»، وأكد «ضرورة المحافظة على أمن، وسلامة، لبنان الشقيق»[٥١]. ونجحت المنظمة في تشكيل لجان مشتركة مع الاجهزة الحكومية اللبنانية لمتابعة الوضع في الجنوب، وحلّ المشاكل الناجمة عن الاستفزازات والاعتداءات الاسرائيلية التي تواصلت طيلة العام، كما مرّ سالفاً. وقد عُدَّت مشاركة الرئيس اللبناني، فرنجية، في تشرين الثاني (نوفمبر)، في الدورة السنوية للجمعية العامة للامم المتحدة والقاؤه كلمة دافع فيها عن قضية الشعب الفلسطيني وكفاحه، بتكليف من القمّة العربية السابقة، مؤشراً الى تطوّر العلاقات اللبنانية ـ الفلسطينية. بيد ان القوى اليمينية اللبنانية كانت تعمل على نحو مغاير؛ اذ انها بدأت بتسليح عناصرها وتشكيل ميليشيات عسكرية خاصة بها، بذريعة مواجهة المقاومة الفلسطينية التي «أقامت دويلات داخل الدولة اللبنانية»، على حدّ تعبير رئيس حزب الكتائب، بيار الجميل، الذي كان يلحّ على انهاء الوجود الفلسطيني المسلّح في لبنان، والغاء اتفاقية القاهرة. واعتباراً من تموز (يوليو) ١٩٧٤، بدأت هذه الميليشيات بمصادمة الفدائيين الفلسطينيين. ففي ٢٧ من ذلك الشهر، وقع خلاف بين فدائي وعضو في حزب الكتائب في محلة الدكوانة القريبة من مخيم تل الزعتر الفلسطيني، في بيروت الشرقية، أسفر عن مصرع الفدائي واصابة الكتائبي بجروح بليغة؛ وأعقبه اشتباك مسلّح محدود أمكن تطويقه في الحال. وبعد يومين، اندلع اشتباك أخطر بين الميليشيات الكتائبية والفدائيين في المنطقة الفاصلة بين المخيم الفلسطيني ومحلة الدكوانة، أُستخدمت فيه أسلحة متنوّعة، وأدّى الى مقتل وجرح عدد من عناصر الطرفين، وتوقف بعد مفاوضات أسفرت عن تسيير دوريات مشتركة من المقاومة والكتائب والأمن اللبناني[٥٢]. وكان ذلكما الحادثان بداية لأطول حرب عربية مسلّحة ضد المقاومة الفلسطينية واكبت الحرب الاهلية اللبنانية وتغطّت بها.